وتمتمت «ديناغ» بسذاجة:

ـ أين هم الناس يا تُرى؟

ـ خلف قضبان النوافذ للتلصُّص علينا، فالظاهر أنهم تلقَّوْا أمراً بالبقاء في منازلهم.

بهذا أجاب «ماني» وهو يربّت على مطيّته، ثم نظر إلى «ديناغ» نظرة حبور شعرت معها بأنه ينبغي عليها أن تقلق. بيد أنه تابع بنبرة تشي بتحدٍّ متوهِّج:

ـ لقد تركونا نمرّ عند أبواب المدينة من غير أدنى سؤال. وها هم أولاء يراقبوننا الآن عن بُعْدٍ من غير أن يعترضوا طريقنا. ولست أعرف بعدُ أي مكان اختاروا لانتظارنا. قد يكون قُبالة القلعة.

كانت «ديناغ» قد لمحت، مثلما لمح جميع أفراد الموكب، خلف البيوت الواطئة، الطيف الداكن لما كان فيما مضى ملاذ «دارا» الأخير. فبينما كان «الإسكندر» يجتاح «فارس» ابتنى ملك الملوك في (أيكبتان) قصراً من ألف حجرة بسعة مدينة كاملة، نوعاً من خزانة عملاقة يحبس فيها خلف ثمانية أبواب من الحديد نساءه وأولاده اليافعين وكذلك ما يملك من مال. وكان جميع ذلك أطلالاً في الوقت الحاضر باستثناء جناح واحد أعيد بناؤه وكان يأتي للإقامة فيه من حين إلى آخر أحد أفراد الأسرة الحاكمة.

وعلى مقربة من القلعة كان الجنود يقومون بدوريات من عشرة أشخاص على الأقدام أو فوق الجياد منهمكين وكأنّهم في عمل دائب في إحدى الورش، ومن غير أية نظرة إلى القافلة التي كانت تقترب. وسألت «ديناغ» «ماني» عمّا إذا لم يكن من الحكمة الرجوع على الأعقاب، غير أنه لم يُرِد أن يسمع أيّ شيء. فحتى لو كان مهدَّداً بالمصادرة والموت فإنه سيقضي الليل في المدينة، لأنه لم يكن في وسع أحد أن يتجاهل أنه مزوَّد بأسمى الأُذون. ولكي يؤكِّد أقواله بأفضل الوسائل فقد ترجّل وترك العِنان. وحاكاه رفاقه. حتى لقد أصبح الجنود الآن بينهم، وحولهم، وكأنهم يَفُورون وسطهم حتى وإن لم يكونوا يلمسون أحداً.